قالوا الصابر كجابر زايرين فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبابي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ويقال ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابها ازالت عن قلبي مرارة وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى الانسان بثلث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ويروى عن بعض الصالحين انه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد اخذت من كمه فقال بارك الله له فيها لعله احوج اليها مني وروى عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صايم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق الاخرة على بلاء الله تعالى **فان قلت** فبماذا تنال درجة الصبر في المصايب وليس الامر الى اختياره وهو مكره شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهية للمصيبة فذلك غير داخل في الاختيار **فاعلم** انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت وقد قيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدموع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابرهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقي

وقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك ايضا لا يخرج عن مقام الرضا فالمقدم على الفصد والحجامة راض بذلك وهو متألم بسببه لا محالة وقد يفيض عينه اذا عظم المه وسياتي ذلك في كتاب الرضا وكتب ابن ابي نجيح يعزي بعض الخلفاء ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله عنده فيما ابقاه واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو الماجور فيك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه فاذا هما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وساير المصايب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصايب والاوجاع والصدقة فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن واكثر جولان الخواطر انما يكون في فايت لا تدارك له او في مستقبل لا بد ان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيف ما كان تضييع زمان واالة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله او عن فكر يستفيد به معرفة بالله ليستفيد بالمعرفة محبة الله فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون كذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره او من يتوهم به انه ينازعه ويخالف غرضه بظهور امارة له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس في حبه حتى في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دايم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 